الإنتاج الفكرى العربى فى الأرشيف والوثائق
فى الفترة ١٩٩٧ - ٢٠٠٠
دراسة ببليومترية

أ.د. محمد فتحى عبد الهادى

تمهيد :

الأرشيف والوثائق هو التخصص الذى يُعنى بأوعية المعلومات من فئة المكاتبات والالتزامات أو الإداريات والتصرفات، وعملياتها الفنية والتنظيمية ضبطاً واستخداماً ويُعنى كذلك بالمؤسسات الأرشيفية والوثائقية المختصة بهذه الأوعية بوظائفها وأنواعها المختلفة(١).

وتعتبر دراسة الأرشيف والوثائق من الدراسات المهمة فى الوقت الحاضر نظراً لارتباطها بأوعية المعلومات الأولية المتعلقة بالمعاملات بين الأفراد أو الهيئات أو السلطات أياً كان شكل هذه الأوعية أو نوعها.

ورغم قدم الوثائق وامتدادها عبر التاريخ المسجل كله، إلا أن الدراسة الأكاديمية للوثائق والأرشيف فى العالم العربى تعود إلى منتصف القرن العشرين عند افتتاح قسم المكتبات والوثائق بجامعة القاهرة فى أوائل الخمسينات من القرن العشرين.

ومنذ ذلك التاريخ وحتى الآن، حدثت تطورات كثيرة فى مجال الأرشيف والوثائق خاصة بعد استغلال تكنولوجيا المعلومات الحديثة فى المعالجة الفنية وتقديم الخدمات الأرشيفية والوثائقية. وقد واكب ذلك دراسات عربية متخصصة فى الأرشيف والوثائق تحتاج إلى رصد وتحليل للتعرف على سمات أو خصائص الإنتاج الفكرى فى المجال.

هدف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى تحليل الإنتاج الفكرى العربى فى الأرشيف والوثائق الصادر فى السنوات الأربع الأخيرة من القرن العشرين من أجل التعرف على سمات هذا الإنتاج وخصائصه النوعية والزمنية والموضوعية والجغرافية وما إلى ذلك.

منهج الدراسة وأداتها :

تعتمد الدراسة على منهج القياسات الببليوجرافية، وتطبيقه على بيانات المواد الخاصة بالأرشيف والوثائق فى دليل "الإنتاج الفكرى العربى فى مجال المكتبات والمعلومات : ١٩٩٧-٢٠٠٠م" (٢) باعتبار أن هذا الدليل الببليوجرافى هو أكثر الأدلة شمولاً فى هذا المجال، فضلاً عن أنه الأداة الوحيدة التى ترصد بصورة شاملة الإنتاج الفكرى العربى فى الأرشيف والوثائق إضافة إلى المكتبات والمعلومات.

وجدير بالذكر أنه صدر فى عام ٢٠٠١ "دليل رسائل الوثائق فى مصر حتى مارس ٢٠٠١" من إعداد مانيفال محمد عبد العزيز ومحمد حسن جادالله ونيفين محمد محمود، وفى العام التالى ٢٠٠٢ صدرت الطبعة الثانية منه متضمنة إضافة ما استجد من رسائل خلال العام. وفى عام ٢٠٠٣ صدرت الطبعة الثالثة بعنوان : دليل الرسائل الجامعية لتخصص الوثائق والأرشيف فى مصر حتى مارس ٢٠٠٣م من إعداد محمد حسن جادالله ونيفين محمد محمود(٣). ويتضمن الدليل فى طبعته الثالثة ٩٥ رسالة ماجستير ودكتوراه نوقشت حتى مارس ٢٠٠٣ مع تقديم بيانات ببليوجرافية كاملة عن كل رسالة وإشارة إلى محتوياتها من الفصول، كما يتضمن الدليل أيضاً ٤٨ رسالة سجلت ولم تناقش حتى مارس ٢٠٠٣م.

الدراسات السابقة :

لا توجد دراسات عربية سابقة سوى رسالة عزوز الصباحى محمد العليمى التى أجيزت عام ٢٠٠٢ (٤) والتى هدفت إلى تحديد حجم الإنتاج الفكرى فى الوثائق والأرشيف والمتغيرات التى تطرأ على نموه، فضلاً عن تعرف الخصائص اللغوية والنوعية والشكلية له وأماكن نشره، والاتجاهات الموضوعية له، وظواهر التأليف، ومدى الإفادة من الإنتاج الفكرى العربى فى الوثائق والأرشيف، وذلك فى الفترة من ١٩٢٥-١٩٩٣. وقد خلصت الرسالة إلى مجموعة من النتائج أبرزها أن حجم الإنتاج العربى فى الوثائق والأرشيف بلغ ٨٦٣ مادة معلومات فى الفترة من ١٩٢٥-١٩٩٣، وأن هذا الإنتاج يتوزع على ١٦ دولة عربية أسهمت فى نشره ودولة أجنبيه واحدة هى فرنسا، كما بينت الرسالة أن الاتجاه العام لحركة التأليف على الصعيد العربى يتمثل فى التركيز على قطاعات موضوعية ثلاثة هى : المجموعات الوثائقية والأرشيفية، ثم المؤسسات الوثائقية والأرشيفية فى الدول المختلفة ثم الإدارة والتنظيم. وتشير الرسالة أيضاً إلى تفوق الاستشهادات المرجعية باللغة العربية على غيرها من اللغات بدرجة كبيرة فى الإنتاج العربى فى الوثائق والأرشيف.

عدد المواد والتوزيع الزمنى لها :

تم حصر ٢٨٦ مادة فى دليل "الإنتاج الفكرى العربى فى مجال المكتبات والمعلومات: ١٩٩٧-٢٠٠٠م". وهذا العدد يمثل ٦,٩٪ من مجمل الإنتاج فى الدليل والبالغ عدد المواد به ٤١٥٦ مادة.

ومن الواضح أن الإنتاج الفكرى فى الأرشيف والوثائق قليل للغاية قياساً للإنتاج الفكرى فى مجال المكتبات والمعلومات والذى بلغ ٣٨٧٠ للفترة نفسها. وجدير بالذكر أن دليل الإنتاج الفكرى المشار إليه قد حصر عبر إصداراته المتتابعة حتى نهاية عام ٢٠٠٠م ١٢٦٧ مادة تخص الأرشيف والوثائق . وقد تبين

أن إنتاج أربع سنوات فى أواخر القرن العشرين(×) يمثل نحو ١٩,٦٪ من مجمل الإنتاج على امتداد نحو خمس وسبعين سنة.

ويبين جدول رقم (١) توزيع الإنتاج الفكرى الكلى على الفترات الزمنية للدليل المشار إليه.

وبصفة عامة، يتزايد الإنتاج من فترة لأخرى، ربما ما عدا الفترة من ١٩٨٦-١٩٩٠ التى شهدت انخفاضاً عن الفترة السابقة لها. وقد قدمت السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين حوالى ٤٥٪ من مجمل الإنتاج.

ولا توجد ملامح واضحة للتطور فى السنوات الأربع الأخيرة نظراً لصغر الفترة ومع هذا فقد قدمت سنة ١٩٩٧م ٥٩ مادة وقدمت ١٩٩٨م ٧٣ مادة وسنة ١٩٩٩م ٣٩ مادة أما سنة ٢٠٠٠م فقد قدمت ٧٧ مادة.

التوزيع الجغرافى للمواد:

يتضح من جدول (٢) أن الإنتاج الفكرى يتوزع على ١١ دولة عربية ودولتين أجنبيتين (بريطانيا وفرنسا). وتمثل كل من مصر (٣٠,٦٪) والجزائر (٢٣,٤٪) أكثر من نصف الإنتاج (٥٤٪) كما أن هناك إسهامات واضحة من جانب ثلاث دول أخرى هى سوريا (١٥,٣٪) وتونس (١٠,٩٪) والسعودية (٨,٥٪) . وقد تمثل معظم إنتاج مصر فى الاطروحات والكتب، بينما معظم إنتاج الجزائر فى دراسات قدمت إلى مؤتمر عقد بها فى هذه الفترة إضافة إلى ما نشر بمجلة الوثائق العربية.

التوزيع النوعى :

من الواضح أن مقالات الدوريات تحتل المرتبة الأولى، وهى وحدها تمثل أكثر من نصف

الإنتاج الفكرى بقليل. وتتوزع هذه المقالات على ٢٤ دورية، وهو عدد كبير لكنه يشير إلى تشتت واضح لدراسات الأرشيف والوثائق (أنظر جدول ٤). ويلاحظ أن هذه الدوريات تنقسم إلى ثلاث فئات رئيسية هى :

١- دوريات متخصصة فى الوثائق والأرشيف ١ ٣٦ مادة

٢- دوريات كتب ومكتبات ومعلومات ١٩ ٩٠ مادة

٣- دوريات أخرى ٤ ١٠ مواد

وهكذا يتضح قلة عدد الدوريات المتخصصة فى الوثائق، إذ أن المجلة العلمية الوحيدة]الوثائق العربية[هى دورية تصدر سنوياً عن الفرع الإقليمى العربى للمجلس الدولى للأرشيف وهى غالباً ما تضم الدراسات المقدمة فى المؤتمرات التى يعقدها الفرع.

وربما كان ذلك سبباً فى اهتمام دورية أخرى بدراسات الأرشيف والوثائق هى المجلة العربية للأرشيف والمعلومات التى بدأ صدورها فى تونس عام ١٩٩٧ ، كما أن دار الوثائق القومية بمصر قد أصدرت عام ٢٠٠٣ العدد الأول من دورية متخصصة فى الوثائق والأرشيف هى "الروزنامة".

أما دراسات المؤتمرات فهى ٣٧ دراسة منها ٣٢ دراسة مقدمة فى الندوة الدولية حول الأرشيف الخاص بتاريخ الجزائر المحفوظ بالخارج، بينما تتوزع الدراسات الخمسة الباقية على ثلاثة مؤتمرات غير متخصصة فى الأرشيف.

وفيما يتعلق بالكتب، وعددها ٣٠ كتابا، فهى تنقسم إلى الفئات التالية :

١٣ كتاب دراسى

١١ كتب عامة وتعريفية بالتخصص

٥ كتب أعمال ندوات ومؤتمرات

٢ كتاب (أطروحات جامعية تم نشرها)

ويبين التوزيع السابق بدء الاهتمام بنشر كتب دراسية فى التخصص وإن كان الاهتمام بنشر مثل هذه الكتب يعود إلى أنها الأكثر توزيعاً لحاجة الطلاب إليها وهو ما يبرر اقبال دور النشر التجارية على نشر مثل هذه الفئة من الكتب. ويلاحظ أن د. جمال الخولى (أستاذ مساعد الوثائق ورئيس قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب جامعة الإسكندرية) هو صاحب أكبر من الكتب الدراسية (٦ كتب)، كما أن معظم الكتب الدراسية من نشر دار الثقافة العلمية بالإسكندرية (٦ كتب).

أما الأطروحات الجامعية فعددها ٢٧ أطروحة وهو عدد غير قليل بالنسبة لأربع سنوات، أى بمتوسط ما يقرب من سبع أطروحات فى السنة. وهى تتوزع على النحو التالى :

٣ الدكتوراه

١٦ ماجستير

٣ دبلوم

٥ ختم الدروس الجامعية لليسانس

ويلاحظ أن رسائل الماجستير والدكتوراه كلها من مصر، منها عشرة فى قسم المكتبات والوثائق بكلية الآداب جامعة القاهرة، وسبعة فى قسم المكتبات والوثائق بكلية الآداب جامعة القاهرة فرع بنى سويف ورسالة فى قسم المكتبات بجامعة طنطا ورسالة أخرى فى قسم المكتبات بجامعة المنوفية.

أما أطروحات الدبلوم فهى مقدمة لمدرسة علوم الإعلام بالرباط، بينما توجد خمس أطروحات تقدم بها الطلاب لختم الدروس بمرحلة الليسانس بالمعهد الأعلى للتوثيق بتونس.

وفيما يتعلق بالأجزاء أو الفصول من كتب فإن معظمها عبارة عن فصول فى كتاب واحد هو "تقرير المعلومات فى العالم ١٩٩٨/٩٧" الذى صدر عن اليونسكو وتمت ترجمته إلى العربية بالقاهرة.

أما المجلات التى بدأت الصدور فى الفترة من ١٩٩٧-٢٠٠٠ فلا يوجد سوى مجلة واحدة هى : عربيكا، وهى النشرة الإخبارية للفرع الإقليمى العربى للمجلس الدولى للأرشيف الذى صدر العدد الأول منها بالجزائر فى يونيو ١٩٩٩.

التوزيع الموضوعى للمواد :

يتضح من جدول (٥) غلبة الدراسات المتعلقة بالوثائق التاريخية وخاصة الأطروحات الجامعية.

ويلاحظ قلة عدد المواد المتعلقة بموضوعات مهمة مثل : العمليات الفنية من فهرسة وتصنيف وتكشيف، التأهيل والتدريب، الأرشيفات المتخصصة، المصطلحات، استخدام التقنيات الحديثة فى الأرشيف.

التوزيع اللغوى للمواد:

من الواضح من جدول رقم (٦) أن الإنتاج الفكرى معظمه باللغة العربية يليها اللغة الفرنسية ثم الإنجليزية، وربما كان كبر عدد المواد بالفرنسية عن الإنجليزية بسبب المواد التى تصدر فى كل من تونس والجزائر والمغرب بهذه اللغة.

الترجمة والتأليف :

الترجمات محدودة للغاية فهى ١٧ مادة بنسبة ٦,٨٥٪ وتتوزع الترجمات على النحو التالى :

فصول من كتاب (تقرير المعلومات فى العالم) ٧

مقالات ودوريات ٧

دراسات مقدمة إلى المؤتمرات ٢

كتاب ١

وفيما يتعلق بالتأليف فيلاحظ أن التأليف الفردى هو الغالب ، فالتأليف المشترك كان فى أربعة مواد فقط.أما المساهمات فأبرزها على النحو التالى : (انظر جدول ٧)

وجمال الخولى هو أستاذ مساعد الأرشيف والوثائق بجامعة الإسكندرية، ورئيس قسم المكتبات والمعلومات بها، ودعد الحكيم هى مديرة مركز الوثائق التاريخية فى سورية، والمنصف الفخفاخ هو مدير دار الأرشيف بتونس، كما أن عبد الكريم بجاجه هو مدير الأرشيف الوطنى بالجزائر.

نتائج وتوصيات

١- الحاجة ماسة إلى الاهتمام بإعداد دراسات جادة فى تخصص الأرشيف والوثائق نظراً لقلة مفردات هذا الإنتاج حتى الآن، من منطلق أن الإنتاج الفكرى يشكل دعامة أساسية من دعامات التخصص وعنصر هام من عناصر بنائه وتكوينه.

٢- ضرورة الاهتمام بالدراسات الأكاديمية لتخصص الأرشيف والوثائق باعتبار أن التأهيل الأكاديمى ضرورة من ضرورات التخصص وعامل من أهم عوامل البحث العلمى فيه. ويكفى أن نعلم أنه لا يوجد معهد أو قسم أكاديمى مستقل لدراسة الوثائق والأر شيف على مستوى العالم العربى.

٣- تشجيع إصدار دوريات متخصصة فى الأرشيف والوثائق، إذ لا توجد سوى دورية واحدة حتى عام ٢٠٠٠ بينما نشأت دورية أخرى عام ٢٠٠٣.

٤- تشجيع عقد الندوات والمؤتمرات المتخصصة فى الأرشيف والوثائق إذ لا توجد مؤتمرات منتظمة غير المؤتمر السنوى للفرع الإقليمى العربى للمجلس الدولى للأرشيف، والمؤتمر السنوى الذى يعقده قسم المكتبات والوثائق بآداب بنى سويف.

٥- الاهتمام بتقديم كتب دراسية حديثة وأدلة ارشادية جيدة تفيد العاملين بمؤسات الأرشيف والوثائق.

٦- الاهتمام بالدراسات التى تتناول الأرشيف الحديث ونظم المعلومات الإدارية. والتركيز فى إعداد دراسات حول موضوعات مثل :الارشيفات الإلكترونية، العمليات الفنية، الخ.

٧- الاهتمام بالترجمة باعتبار أنها تنقل الأفكار الأصيلة عن الدول التى سبقتنا فى هذا المضمار.

٨- الاهتمام بالجهد الجماعى فى الكتابة بعد أن تبين أن الجهد الفردى هو الغالب.

٩- تشجيع جيل الشباب من العاملين بدور الوثائق والأرشيف على الكتابة والبحث لإثراء التخصص.

١٠- التفكير فى إنشاء جمعية مهنية للمتخصصين فى الأرشيف والوثائق.

المصادر

(١) عزوز الصباحى محمد العليمى. الإنتاج الفكرى فى مجال علوم الوثائق والأرشيف فى الوطن العربى منذ عام ١٨٨٣ وحتى عام ١٩٩٣ : دراسة ببليومترية.- سوهاج، ٢٠٠٢.- ص ٢٥ (أطروحة ماجستير - جامعة جنوب الوادى . كلية الآداب بسوهاج).

(٢) محمد فتحى عبد الهادى. الإنتاج الفكرى العربى فى مجال المكتبات والمعلومات : ١٩٩٧-٢٠٠٠م.- الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣.

(٣) محمد حسن جادالله. دليل الرسائل الجامعية لتخصص الوثائق والأرشيف فى مصر حتى مارس ٢٠٠٣م / إعداد محمد حسن جادالله، نيفين محمد محمود؛ تقديم ومراجعة سلوى على ميلاد.- ط٣.- بنى سويف : جامعة القاهرة (فرع بنى سويف)، كلية الآداب، ٢٠٠٣.- ٥٩ص.

(٤) عزوز الصباحى محمد العليمى. مصدر سابق.

(×) تم استعاد ٣٨ مادة نشرت فى فترات سابقة على فترة الدراسة ليصبح عدد المواد الخاضعة للدراسة هو ٢٤٨ مادة وليس ٢٨٦ التى سجلها الدليل فى إصدارة ١٩٩٧-٢٠٠٠م.